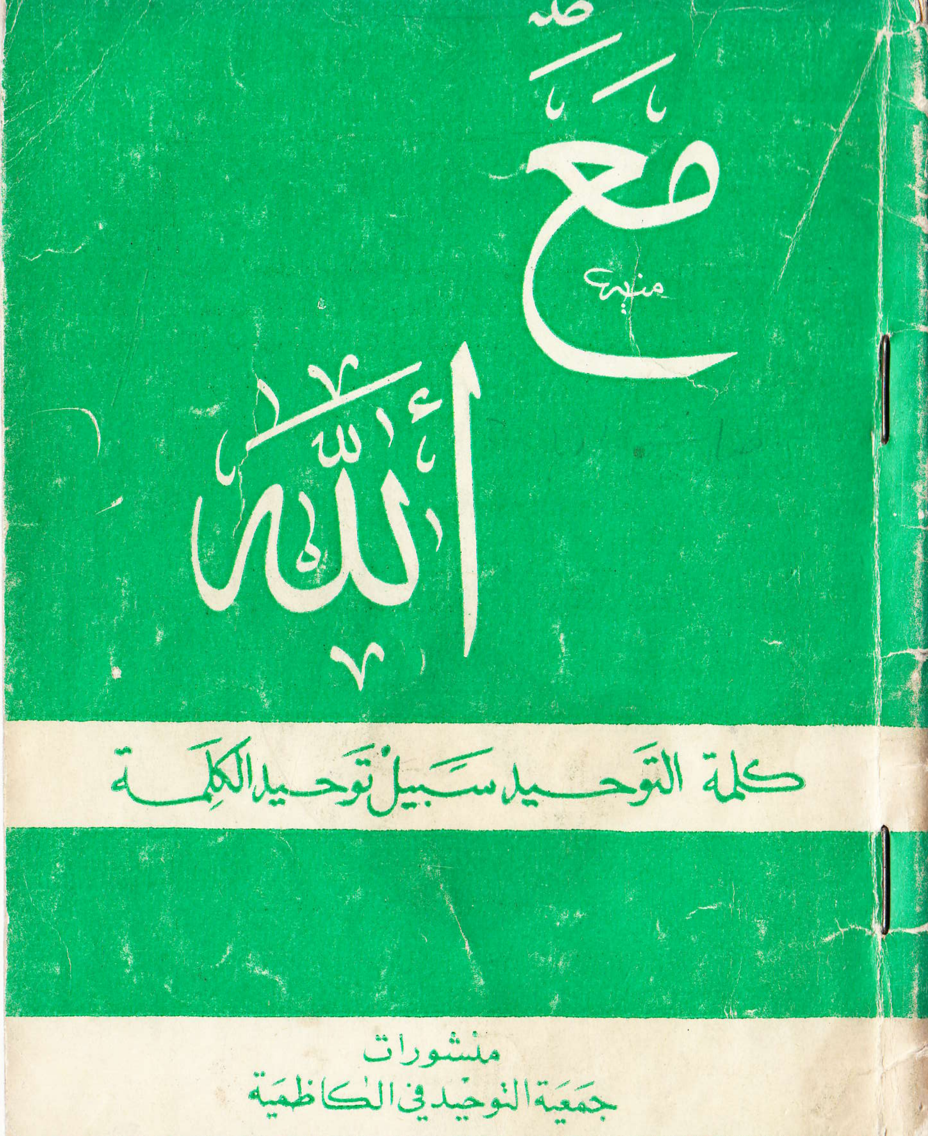

مع الله
منير
كلمة التوحيد سبيل توحيد الكلمة
منشورات
جمعية التوحيد في الكاظمية



كلمة التوحيد سبيل توحيد الكلمة

جمعية التوحيد في الكاظمية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له

إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له

وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه

ضعف الطالب والمطلوب

فلسفة الدعاء

قد يضيق الصدر وتزدحم الاحداث ويدلهم الظلام ، ويبقى الانسان يصارع نفسه القلقة المضطربة ، تتعذب بين جوانحه وتربكها دوامة القلق وتلفحها السياط باسئلة حرجة الى من المفر ؟ ومن الملجأ ؟ والى من المهرب ؟.

من لا يعرف الطريق ، يختار باب الفناء فيلج فيه ، ينهي حياته ليتخلص من المشاكل والالام ، ولكن بوسيلة الجبناء ! ثم يكتشف بعد ذاك ان هذا الباب يؤدي الى العذاب ولا ينهي الالام .

اما من عرف طريق الهدى واستنار بنور الله فيلجأ الى المعين الصافي والقوة الكبرى التي لا تقهر ، الى من هو اقرب اليه من حبل الوريد ، يرفع اليه يديه ويقول بلسان شاكر وقلب مؤمن طاهر ، يا رب ! . بعد ذاك يشعر ان قوته قد تضاعفت ، وان مشاكله قد تضاءلت بفضل تلك المعونة التي منحها اياه العزيز العليم ، فينظر الى مشاكله نظرة الشجعان ، لا ييأس ولا يكل بل يكون مطمئنا الى نهاية الطريق التي ستكون حتما في صالحه .

هذه الاحاسيس تختلج في نفس كل انسان اذا سدت الافاق بوجهه اما ان يعود الى الله ، واما الى التهرب من المأزق بانهاء الحياة بشكل او آخر •

وقد يتصور البعض ان هذه كلمات المسلمين فقط ، ولكننا ننقل كلمات غيرهم لمن يعجبه الاستماع الى الاسماء الغربية •

يقول الدكتور (بلانتون وارثر جوردون) في مقال له بعنوان كيف تعالج الاعزاء :

« ادع الله لمساعدتك ! قد تكون هذه النصيحة عجيبة تصدر من طبيب نفسانى ، ولكني بعد حياة طويلة قضيتها في ملاحظة تصرفات البشر ، لم يعد لدي ادنى شك في ان الدعاء الى جانب اهميته الدينية ، فانه من اكثر الوسائل الفعالة لاستخراج الحكمة والقوة الكامنتين في مستودع العقل الباطن العظيم •

ومع ذلك فانني لا اظن ان مجرد تلاوة الدعاء او تكراره فيه الكفاية ، اذ يجب ان يتخلل الدعاء خضوع وتجرد من الرغبات واعتراف بالعجز وانعدام الحيلة •••

ولا يستطيع الطبيب النفسانى ان يشرح ذلك شرحا وافيا اكثر مما يستطيعه رجل دين ، ولكنه يعلم ان الامر كذلك • ان استسلام النفس هو مفتاح المشكلة ، واذا تخلل هذا المسلك العقل الواعي ورسب في اعماق العقل الباطن ، كانت النتيجة صفاء وجلاء الافكار اللذين لا يجعلان اتخاذ القرارات الصحيحة امرا ممكنا فحسب ، بل امرا لا مفر منه ايضا » •

الدعاء اذن قوة دافعة الى العمل والابداع وليست اتكالا وتقاعسا عن التطور والانتاج • والانسان يحتاج الى عون خالقه في كل لحظة فهو لا يستطيع الانفـراد في الحياة ، ولقد صدق (السير كريسي موريسون رئيس اكاديمية العلوم بنيويورك سابقا) حين قال : « الانسان لا يقوم وحده » • وقد اعطانا الله وسيلة الاتصال به ، انها وسيلة الدعاء •

الداعي وأدب الدعاء

من أدب الدعاء ان يكون الداعي خاشعا خاضعا كما ورد في قوله تعالى : « ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين » وان يكون متذللا خائفا من عقاب الله طامعا في رحمته « ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين » وفي موضع آخر من سورة السجدة « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا » .

ومن أدب الدعاء ان لا يرفع الداعي صوته بل يدعوه سرا ، ولا يعجل فيدعو بالشر يحسبه دعاء بالخير « ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا » ومن الآداب عدم اليأس من الاجابة ، وان يواظب ويلح فيه على الله تعالى وهو مستحضر المشاعر . عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان الله يحب الملحين في الدعاء »، وان يكون مخلصا اشد الاخلاص فيه ، متوجها اليه تعالى بجميع احاسيسه ، روحه وعقله وقلبه وجميع جوارحه ، مستعملا الكلم الطيب « فاستجبنا له ووهبنا له يحيى

واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » .

هذه باقة من آيات الله وردت في القرآن الكريم تحدد مسار المسلم حينما يتوجه الى الله تعالى في دعائه . وهناك نماذج من ادعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة(ع) منها هذا الدعاء ، عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام :

« ... وسألتك مسألة الحقير الذليل البائس الفقير الخائف المستجير ، ومع ذلك خيفة وتضرعا وتعوذا وتلوذا، لا مستطيلا بتكبر المتكبرين ولا متعاليا بدالة المطيعين .. ».

الاخلاص في الدعاء

لاستجابة الدعاء شروط منها :

(١) ان يكون خالصا لا يشوبه شرك ولا رياء ، قال تعالى : « فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره

الكافرون » « هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين » .

(٢) ان يستجيب الداعي لله تعالى يعمل باوامره ويؤمن به وبأجابته « واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

(٣) وان لا يكون آيسا عند عدم الاستجابة لدعائه فلعل مصلحة الداعي في ذلك ، فان الامام زين العابدين علي بن الحسين (ع) يقول : « ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي ، لعلمك بعاقبة الامور » .

وهناك امكنة وازمنة هي مظان الاجابة مثل : المساجد « قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ... » . وعند الكعبة المشرفة ، وعند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقبور اهل البيت (ع)، وخاصة عند رأس الحسين (ع) وتحت قبته ، وعند قبر الوالدين وقبور الصالحين . وبعد كل صلاة وأذان ، وعند زوال وغروب شمس يوم الجمعة .

ليس احد غير الله تعالى ـ مهما كان عظيما او حقيرا كبيرا او صغيرا ملكا مقربا او نبيا مرسلا ـ اهلا لان يدعى من دون الله ، وليس باستطاعته كشف الضر عنا ولا تحويلا ، فهم أعجز من ذلك وهم عاجزون حتى عن نصر انفسهم فانى لهم وكيف نصر غيرهم واجابتهم الى ما يطلبون ضرا أو نفعا ؟

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمره ربه ان يوجه خطابه للناس بقوله : « قل لا املك لكم ضرا ولا رشدا » . وها هو صلى الله عليه وآله وسلم يخاطب ابنته (ع) قائلا : « يا فاطمة بنت محمد اعملي فاني لا املك لك من الله شيئا » .

اندعوهم وهم لا يملكون مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا يملكون من قطمير (١) ؟ أمن العقل ان يدعى من لا يسمع الدعاء ولو سمع لما استجاب ؟ اليس

---

(١) القطمير : القشرة الرقيقة التي تغلف النواة .

هذا هو الضلال البعيد ، والبعد عن الرشد والعقل ؟

بل ندعو من هو اقرب الينا من حبل الوريد ، سميع الدعاء مجيبه الذى أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وقد امر سبحانه عباده ان يدعوه ووضع صيغا لذلك لا يجوز للمؤمن ان يتخطاها ولا ينحرف عنها ، فلو نظرنا الى الكتاب المجيد نجد آيات كثيرة تحمل المسلم ان يسلك السبيل المستقيم في دعائه ، وان لا ينصرف فيه الى غيره ، فان في ذلك شططا وسرابا يحسبه الضمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه .

واليك الايات التي انتقيناها في هذا المعنى :

قال تعالى : « هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء » .

« ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين » .

« والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون » .

« له دعوة الحق والذين يدعــون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال » .

« والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون ، أموات غير احياء وما يشعرون أيان يبعثون» .

« قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » .

« يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد » .

« أمَّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أأله مع الله قليلا ما تذكرون » .

« قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير » .

« يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير» .

« ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » .

« وقـــال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » .

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ، ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته » .

« ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون » .

فبهداهم اقتده

ان جميع الانبياء والاولياء والصالحين من عباد الله كانوا يتوجهون في دعائهم الى الله سبحانه ، يريدون بذلك وجهه ويرجون رحمته ويخافون عقابه ، لانهم يعلمون ان دعاء غير الله هو الخيبة والخسران وهو الشقاء والهلاك

وهو الفرط والشطط وهو الغفلة واتباع الهوى ، وبالتالى فهو الشرك .

ونذكر هنا بعض ما ورد من ادعيتهم – صلوات الله عليهم – في القرآن الكريم لنتأسى بهم وليكونوا لنا قدوة ونكون لهم اولياء :

« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء » .

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغـداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا » (١) .

« واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا » .

« فدعا ربه اني مظلوم فانتصر » .

« قل انما ادعو ربي ولا اشرك به أحدا » .

« انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم » .

---

(١) الفرط : الضياع والهلاك .

حتى المشركون

وحتى المشركون كانوا يتوجهون بدعائهم في الشدائد الى الله تبارك وتعالى وينسون ما يشركون ، ويذرون ما ينحتون .

« قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ، بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون » .

فما بال اقوام من المسلمين يتوجهون بدعائهم في حوائجهم وشدائدهم الى غيره ؟! اظلم اكبر من هذا ؟ الم يعلموا ان الدعاء عبادة والعبادة لغير الله لا تجوز ؟! اليس هذا هو الشرك بعينه ؟ اذا لم يكن هذا هو الشرك فكيف يكون الشرك اذن ؟ ربنا بصرنا صراطك المستقيم واهدنا .

لا تدعوا غير الله

آيات كريمات كثيرات تلك التى تنهى عن دعاء غير الله ، وتجعل الدعاء من دونه دعاء بالباطل وهو على حد

الكفر بالله ، وتهدد وتنذر بالعذاب الاليم والدخول في النار داخرين صاغرين اذلاء . ذلك لان الدعاء عبادة ، فقد قال تعالى في سورة غافر المباركة : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جنهم داخرين » . فعن الامام علي بن الحسين (ع) في دعائه ـ وداع شهر رمضان ـ قال : (... فسميت دعاءك عبادة ، وتركه استكبارا ، وتوعدت على تركه دخول جهنم داخرين ...) ولما كان الدعاء عبادة فالعبادة لا تكون الا له وحده ، فمن دعا غير الله فقد عبده ، وهذا هو الشرك بعينه اجارنا الله منه .

« قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين » .

« ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون » .

« فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين » .

« ولا تدع مع الله الهاً آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » .

« ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير » .

« أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » .

عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في حديث له قال :

« ان الله تعالى يقول : وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن أمل كل مؤمل من الناس في غيري باليأس ، ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ، ولانحينه من قربي ولابعدنه من وصلي ، أيأمل غيري في الشدائد والشدائد بيدى ؟! ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيرى ، وبيدى مفاتيح الابواب وهى مغلقة ؟ وبابي مفتوح لمن دعاني ، فمن ذا الذى أملني لنوائبه فقطعته دونها ؟ ومن ذا الذى رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني ؟ . جعلت آمال عبادى عندى محفوظة ، فلم يرضوا بحفظي ، وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي

وأمرتهم الا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي ، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبى انه لا يملك كشفها أحد غيري الا من بعد اذني ؟ فمالي أراه لاهيا عني ؟! أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده وسأل غيري !! أفتراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة، ثم أسأل فلا أجيب سائلي ؟! أبخيل أنا فيبخلني عبدي ؟ أو ليس الجود والكرم لي ؟ أو ليس العفو والرحمة بيدي ؟ أو لست أنا محل الامال ؟ فمن يقطعها دوني ؟ أفلا يخشى المؤملون ان يأملوا غيري ؟ . فلو ان أهل سماواتي وأهل أرضى أملوا جميعا ، ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة ، وكيف ينقص ملك أنا قيمه ؟ فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني !!

لا تكونوا من هؤلاء

ومنهم اذا اصابتهم مصيبة او لحقهم ضر دعوا الله ليكشف عنهم ما بهم وينجيهم مما هم فيه من ضر وشدة ،

فاذا ما كشف عنهم ذلك الضر وانجاهم من تلك الشدائد وخولهم نعمته ، اذا هم يبغون في الارض بغير الحق ، ويمرون وكأنهم لم يدعوه الى ضر مسهم • وبعضهم قد تصل به الصلافة والوقاحة الى الشرك فيعزو الرحمة التى اصابته الى الانداد دون الله ، ولا فرق ان تكون هذه الانداد اصناما ، او ملائكة ، او انبياء او اولياء ، او سلاطين ، او غيرهم • وقد قال تعالى مخبرا عن هؤلاء :

« واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » •

« هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين • فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » •

« واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون » •

« واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار » •

الدعاء في القرآن الكريم

في القرآن الكريم أدعية مختلفة المطالب نذكر نماذج منها لتكون للمؤمنين المثل الاعلى ليدعوه بها ، لانها الكلم الطيب الذى يصعد اليه ، وهي المختارة من بين الادعية ، ولانها ادعية المخلصين من عباد الله ، فهي عالية المعاني ، موجزة الالفاظ ، سهلة الحفظ ، فصيحة العبارة ، بليغة الدلالة ، هي كلمات الله وآياته ، وفيها اسماؤه الحسنى ، والدعوات الفضلى فادعوه بها :

١ ـ في الاستعاذة مـن الشياطـين والاشرار وسيئـات الاعمال :

« وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ، واعوذ بك رب ان يحضرون » .

« قل اعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد » .

« ونجنا برحمتك من القوم الكافرين » .

« ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ... » .

٢ ـ في الاستعاذة من نار الله وعذابه :

« ... ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما » .

« ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

« ... ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عـذاب النار » .

« ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون » .

٣ ـ الدعاء للابوين والابناء والاخوان والمؤمنين والمؤمنات:

« ربنا اغفر لي ولوالدى وللمؤمنين يوم يقـــوم الحساب » .

« ... وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

« رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعـاء » .

« ... ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما » .

« رب اغفر لي ولاخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين » .

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » .

« رب اغفر لي و لوالدي ولمن دخـل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات » .

« ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » .

٤ ـ في طلب الهداية والثبات على الدين :

« اهدنا الصراط المستقيم » .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب » .

« رب هب لي حكما والحقني بالصالحين . واجعل لي لسان صدق في الاخرين . واجعلني من ورثة جنة النعيم » .

« ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير » .

٥ ـ في طلب الرحمة

« رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي » .

« ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

« ... سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا » .

« وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين » .

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

« ... رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري » .

٦ ـ في طلب النصر على الاعداء والنجاة من الظالمين

« ... رب انصرني على القوم المفسدين » .

« رب انصرني بما كذبون » .

« واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

« ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

« ... ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكافرين » .

« .. رب ان قومي كذبون . فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين » .

« رب نجني وأهلي مما يعملون » .

دعاء المعصومين (ع)

بعد عرض نماذج من أدعية القرآن الكريم نورد بعض الادعية الواردة عن اهل بيت العصمة ـ عليهم السلام ـ التي لا تحيد عن التوجه اليه تعالى وينهى بعضها عن التوجه الى غيره والتي تؤكد بان من يدعو غيره تكون الخيبة والخسران والحرمان حظه ، والذل والفقر نصيبه ، فلا مفرج للهم سواه ، ولا مفزع في الملمات غيره ، ولا يستغاث الا به ، اليه الملجأ ، ومنه العون ، بيده الخير ، وهو المؤمل والمرتجى ، ولا حول ولا قوة الا به .

ان هذه النواهي وان وردت على شكل دعاء فانها دروس وتعليم وتوجيه ، فانهم عليهم السلام لم يدعوا طريقا من طرق الهداية للناس الا طرقوها ، ولا سبيلا الا سلكوها ، ولا بابا الا فتحوها ، فاستعملوا كل اسلوب ناجع في ايصال تعاليم الدين الحنيف الينا ، وفي مقدمتها

التوحيد الخالص ، فمرة يبينون تعاليم الاسلام واحكامه على شكل حديث ورواية ، وتارة على شكل دعاء ، واخرى في الخطب ، ورابعة بالجهاد ، وبالصلح حينا .

ولما كانت طاعتهم واجبة بنص القرآن الكريم : « واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » ، والتمسك بهم حتم لقول نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: « اني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا » . فحديثهم مقبول، وسلوكهم متبع وقولهم مسموع ودعاؤهم حجة .

عن الامام علي (ع) في دعاء كميل قال :

« الهي من لي غيرك اسأله كشف ضري والنظر في امري » .

وعن الامام زين العابدين (ع) من دعاء له في جوف الليل :

« ولا تختزل حوائجهم دونك ولا يقضيها احد غيرك » .

وعنه في الصحيفة السجادية من دعاء يوم الفطر وفي الجمعة :

« خاب الوافدون على غيرك ، وخسر المتعرضون الا لك ، وضاع الملمون الا بك ، واجدب المنتجعون الا من انتجع فضلك » .

وفيها من دعاء الصباح :

« ليس لنا من الامر الا ما قضيت ، ولا من الخير الا ما اعطيت » .

وفيها ايضا من دعائه في المهمات :

« يا من تحل به عقد المكاره ، ويامن يفثأ به حد الشدائد ، ويا من يلتمس منه المخرج الى روح الفرج ، ذلت لقدرتك الصعاب ، وتسببت بلطفك الاسباب وجرى بقدرتك القضاء ، ومضت على ارادتك الاشياء ، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمره ، وبارادتك دون نهيك منزجره . انت المدعو للمهمات وانت المفزع في الملمات ، لا يندفع منها الا ما دفعت ، ولا ينكشف منها الا ما كشفت ... فلا مصدر لما اوردت ، ولا صارف لما وجهت ، ولا

فاتح لما اغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا ميسر لما عسرت ، ولا ناصر لمن خذلت » .

وفيها من دعاء له في طلب الحوائج :

« فمن حاول سد خلته من عندك ، ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته في مظانها ، وأتى طلبته من وجهها ، ومن توجه بحاجته الى احد من خلقك او جعله سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان ، واستحق من عندك فوت الإحسان ... وسولت لي نفسي رفعها الى من يرفع حوائجه اليك ، ولا يستغني في طلباته عنك وهي زلة من زلل الخاطئين وعثرة من عثرات المذنبين ، ثم انتبهت بتذكيرك لي من غفلتي ، ونهضت بتوفيقك من زلتي ، ورجعت ونكصت بتسديدك عن عثرتي ، وقلت : سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتاجا ؟! وأنى يرغب معدم الى معدم ؟! فقصدتك يا الهي بالرغبة ، وأوفدت عليك رجائي بالثقة بك » .

ويقول فيها متفزعا الى الله تعالى :

« اللهم اخلصت بانقطاعي اليك ، واقبلت بكلي

عليك ، وصرفت وجهي عمن يحتاج الى رفدك ، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك ، ورأيت ان طلب المحتاج الى المحتاج سفه من رأيه وضلة من عقله . فكم قد رأيت يا الهي من اناس طلبوا العز بغيرك فذلوا . وراموا الثروة من سواك فافتقروا ، وحاولوا الارتفاع فاتضعوا . فانت يا مولاي دون كل مسؤول موضع مسألتي ، ودون كل مطلوب اليه ولي حاجتي » .

ومن دعائه عليه السلام يوم الاضحى والجمعة :

« وتول قضاء كل حاجة هي لي بقدرتك عليها وتيسير ذلك عليك ، وبفقري اليك وغناك عني . فاني لم أصب خيرا قط الا منك ، ولم يصرف عني سوءا قط احد غيرك ، ولا ارجو لامر آخرتي ودنياي سواك » .

وفي الصحيفة أيضا من دعاء الالحاح :

« فأليك أفر ، ومنك إخاف ، وبك استغيث ، واياك أرجو ، ولك أدعو ، واليك ألجأ ، وبك أثق ، واياك استعين ، وبك أومن ، وعليك أتوكل » .

وفيها في مناجاة الراجين :

« كيف ارجو غيرك والخير كله بيدك ؟ وكيف أومل سواك والخلق والامر لك ؟ » .

وعن الامام محمد الباقر عليه السلام من دعاء له :

« بسم الله ، اللهم اني اسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت امري اليك ، والجأت ظهري اليك ، وتوكلت عليك ، رهبة منك ورغبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك » .

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام من دعاء له في القنوت :

« وانت الله صريخ المستصرخين ، وانت الله غياث المستغيثين ، وانت الله المفرج عن المكروبين ، وانت الله المروح عن المغمومين ، وانت الله مجيب دعوة المضطرين .. وانت الله كاشف السوء ، وانت الله بك تنزل كل حاجة يا الله » .

وعن سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام من دعائه يوم عرفة :

« اللهم انك تجيب دعوة المضطر اذا دعاك ، وتكشف

السوء ، وتغيث المكروب ، وتشفي السقيم ، وتغني الفقير ، وتجبر الكسير ، وترحم الصغير وتعين الكبير ، وليس دونك ظهير ، ولا فوقك قدير ، وانت العلي الكبير ... اللهم أنت أقرب من دُعي ، وأسرع من أجاب ، وأكرم من عفا ، واوسع من اعطى ، واسمع من سئل ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ليس كمثلك مسؤول ولا سواك مأمول » .

بعض الادعية المختارة

وفي نهاية المطاف لموضوعنا هذا نشير الى نموذج لبعض الادعية التي لا يشوبها شك أو شرك وكلها توجه الى الله سبحانه :

(١) ادعية القرآن الكريم والتي مر قسم منها :

(٢) دعاء امير المؤمنين علي (ع) المسمى بدعاء كميل .

(٣) دعاء الافتتاح ، المنسوب للامام الحجة عجل الله فرجه .

(٤) دعاء سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام يوم عرفة .

(٥) ادعية الصحيفة السجادية لسيد الساجدين الامام علي بن الحسين (ع) .

(٦) زيارة « امين الله » للامام زين العابدين ويمكن زيارة جميع الائمة (ع) بها .

التـــوكل

كما ان الدعاء من مختصات الله سبحانه ، كذلك التوكل من مختصاته جلت قدرته ، فقد ورد في القرآن الكريم كثير من الايات الشريفة تأمر بالتوكل عليه وحده .

مفهوم التوكل في الاسلام

ان مفهوم التوكل في الاسلام هو اذا عزم المسلم على ابرام امر من الامور كان قد توصل اليه بعد بذل الجهد وبدون اى كسل او تقاعس ، وبعد التفكر والتدبر ، فبعد ذلك كله يتوكل على الله ، بتفويض الامر اليـــه والوثوق بتسديده وتوفيقه سبحانه .

والتوكل استمداد القوة والعون من جبار السماوات والارض . فهذا نبي الله هود (ع) يخاطب قومه الجبابرة : « اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون » . فهو يصرخ فيهم بكل ايمان وثقة وعزيمة ، لا يخاف اذاهم ولا قوتهم

ولا كثرتهم وهم الجبابرة : فكيدوني جميعا !! . وقد اخبر عن هذه القوة وهذا التحدي انه استمده من توكله على الله حيث قال : « اني توكلت على الله ربي وربكم » فلجأ الى خالقه مصدر كل قوة في الوجود واستصغر كل من دونه .

وليس التوكل ـ كما يحلو لبعض من يريد الانتقاص من الاسلام من اعدائه ـ هو الاتكال وترك السعي والجد والاجتهاد ، ويعني الكسل والتقاعس والاستكانة .

ولا كما نجده شائعا ـ جهلا ـ بين عوام المسلمين من التوجه وتفويض الامور الى غيره سبحانه ، وفي هذا انحراف من كلا الطرفين عن العقيدة الحقة وعن معنى التوكل في الاسلام .

ولبيان زيف ما ذهب اليه اعداء الاسلام نورد بعض الايات الكريمات :

(١) « ... وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ... » فهنا أمر بالتشاور وعند الخروج بنتيجة ما

يعزم ثم يتوكل على **الله** ، هل في هذا اتكال بالمعنى الذى يفهمه اعداء الاسلام ؟٠

(٢) « ان ينصركم **الله** فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

وهنا نصر وخذلان وقتل وقتال وجهد وجهاد ، وتوكل ، فاين مكان الاتكال والتقاعس والخمول ؟

(٣) « قال رجلان من الذين انعم **الله** عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى **الله** فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » ٠ اعداد وتهيؤ ، هجوم وقتال مع قوم جبارين اشداء ، وتوكل فاين الخمول والجمود والاستكانة او الخضوع والخنوع ؟٠

(٤) « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ٠٠٠ » ٠ متى **كان القاء السلاح من قبل العدو** وطلبه للسلم بعد القتال والنزول على ما نريد اتكالا منا وتقاعسا ؟

آيات في التوكل

مزيدا من الايات الكريمات في التوكل نقدمها للذين يفوضون امورهم الى غيره ويتوكلون على غيره او يشركون معه غيره في توكلهم ٠ **وكلها تأمر بالتوكل عليه وحده** ، منها ما امر الله بها انبياءه والمؤمنين من عباده ، ومنها ما ورد على لسان الانبياء يأمرون بها اتباعهم ، ومنها ما ورد على لسان المؤمنين يتواصون بينهم بها ٠ قال تعالى :

« اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ٠

« ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » ٠

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون »٠

« اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر

هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم » .

« وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » .

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

« ولله غيب السماوات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون » .

« وقال يابَنِيّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون » .

« ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » .

« وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا » .

« وتوكل على العزيز الرحيم » .

« فتوكل على الله انك على الحق المبين » .

« ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى به وكيلا » .

« ... قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون » .

« الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

« ... ومن يتوكل على الله فهو حسبه ... » .

« رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا » .

احاديث في التوكل

ما مضى من الايات في التوكل قليل من كثير وفي ما ذكرنا الكفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد . ولمزيد الفائدة نورد بعض ما ورد عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام في هذا المعنى عسى ان ينتفع بها المؤمن ويهتدي بها الغافل والله ولي التوفيق .

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال :

« لو انكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقتم كما ترزق الطيور تغدو خماصا وتروح بطانا » .

عن الامام الحسن (ع) ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« رحم الله أخي يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن طول ما لبث ، يعني قوله : (اذكرني عند ربك) فقال الله : يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا ، ثم بكى الحسن (ع) وقال : نخشى اذا نزل بنا أمر تضرعنا الى الناس » .

عن الامام زين العابدين (ع) قال :

« خرجت حتى انتهيت الى هذا الحائط فاتكأت عليه ، فاذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في تجاه وجهي ثم قال : يا علي بن الحسين ، ما لي أراك حزينا ؟ أعلى الدنيا ؟ فرزق الله حاضر للبر والفاجر ، قلت : ما على هذا احزن وانه لكما تقول . قال فعلى الاخرة ؟ فوعد صادق يحكم به ملك قاهر قادر . قلت : ما على هذا احزن

وانه لكما تقول ، فقال : مم حزنك ؟ قلت مما نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه للناس . قال : فضحك ، ثم قال : يا علي بن الحسين هل رأيت احدا دعا الله فلم يجبه ؟ قلت : لا ، قال : فهل رأيت احدا توكل على الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ... ثم غاب عني » .

عن الامام الصادق جعفر بن محمد (ع) قال :

« أوحى الله الى داود : ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي ، عرفت ذلك من نيته ، ثم تكيده السماوات والارض ومن فيهن ، الا جعلت له المخرج من بينهن » .

وعنه عليه السلام قال :

« ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا » .

وعنه (ع) أيضا قال :

« من اعطى ثلاثا لا يمنع ثلاثا : من اعطى الدعاء

أعطي الاجابة ، ومن اعطى الشكر اعطي الزيادة ، ومن اعطى التوكل أعطي الكفاية • ثم قال : أتلوت كتاب الله ـ عز وجل ـ (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال : (ولئن شكرتم لازيدنكم) وقال : « ادعوني استجب لكم » •

الاستعانة

الاستعانة كالدعاء والتوكل من مختصات الربوبية ، والاستعانة طلب المساعدة في الشدائد وعند الحاجة ، فلا يجوز لاحد ان يطلبها من غيره ـ جلت قدرته • وان ما يفعله بعض الجهال من المسلمين من طلب العون والمدد من النبي أو الولي ، أو المراشدة والرؤساء وغيرهم فانه شرك به تعالى ونفى للتوحيد الخالص •

فمن يندب في قيامه وقعوده ، او في الشدائد ، الانبياء أو الاولياء أو فلانا من الناس ، أو نادى : « ياسيدى فلان مدد » فقد جعل مع الله آلهة أخرى أشركهم مع الله في تصريف امور الخليقة ، انظر كيف انقلبت الامور فجعلنا اهل التوحيد ودعاته شركاء لله سبحانه •

والمؤمن الحق يستجيب لله فيما امره فيطلب العون والمدد منه • وقد حصر سبحانه الاستعانة به واختصها

لنفسه وامرنا ان نقول : « اياك نعبد واياك نستعين » تعليما لنا ان نعبده وحده ونستعينه وحده ، فتقديم المفعول على الفعل في الاية تفيد الحصر والاختصاص .

ومن الايات التي تأمر بالاستعانة بالله قوله تعالى :

« قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون » .

« وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .

« قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا .. » .

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

« احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده امامك . اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله . واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعت على ان يضروك بشيء لن يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف » .

القســـم (الحلف)

والقسم ايضا من مختصاته تعالى ، وقد ذكر الفقهاء انما ينعقد اليمين باسم الله وغيره من الاسماء الحسنى ، ويحرم الحلف بغير الله ولا ينعقد به يمين .

والايات الكريمات التي سنذكرها ، هي وان كانت لا تدل صراحة على حرمة القسم بغير الله ، لكنها تدل بصورة او اخرى على ذلك ، اذ لو كان القسم بغير الله جائزا لورد في مطاوي الايات ولو على لسان المشركين .

قال تعالى :

« وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

« وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون » .

« قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون » .

« واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا » .

واما الاحاديث الشريفة في تحريم القسم بغير الله فمنها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها ما ورد عن اهل بيت العصمة (ع) .

عن الصادق عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المناهي انه :

« نهى ان يحلف الرجل بغير الله ، وقال : من حلف بغير الله فليس من الله في شيء ... ونهى ان يقول الرجل للرجل : لا وحياتك وحياة فلان » .

عن الامام الباقر والصادق (ع) :

« ان لله ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه ان يقسموا الا به » .

عن محمد بن مسلم قال : سمعت ابا جعفر يقول :

« لا تتبعوا خطوات الشيطان ، وقال : كل يمين بغير الله فهي من خطوات الشيطان » .

عن زرارة قال : سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله : وما يؤمن بالله الا واكثرهم مشركون . قال : « من ذلك قول الرجل : لا وحياتك » . (1)

مناقب بن شهراشوب قال :

« لقد حلف الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام (بالله) للمنصور بان لا طمع له بالخلافة ولا يعد العدة لها ، فقال له المنصور : لا أقبل منك الا ان تحلف بالطلاق والعتاق ، فغضب الصادق (ع) وقال أبالانداد دون الله تأمرني ان احلف ؟! وما الطلاق أأله هو حتى يحلف به ؟» .

عن منصور بن حازم قال :

« قال لي ابو عبدالله (ع) : اما سمعت بطارق ، ان طارقا كان نحاسا بالمدينة فأتى ابا جعفر (ع) فقال : يا أبا جعفر اني هالك اني حلفت بالطلاق والعتاق والنذور . فقال : يا طارق ان هذا من خطوات الشيطان » .

(1) وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون

النـــذر

النذر عبادة ، ولا يصح لغير الله تعالى من الانبياء والاولياء والصالحين ويكون بدعة وحراما ، واذا كان النذر لغير الله ذبيحة فهي ميتة ويحرم اكلها •

وقد ورد في تفسير هذه الاية الشريفة « وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار » انها تهديد للذين ينذرون لغير الله تعالى ، وللذين ينذرون ولا يفون بنذرهم يجعلهم من الظالمين وانه ليس لهم ناصر من عذاب الله •

ومن الايات التي تدل على ان النذر لله وحده ما جاء على لسان عيسى (ع) قوله تعالى : « فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا » • فلو كان النذر جائزا لغير الله لقال : فقولي اني نذرت صوما فورود اسم المنذور له وهو (الرحمن) دليل على وجوب النذر له وحده •

ومنها ما هو مدح لاناس نذروا لله تعالى فوفوا بنذورهم فكانوا من الابرار وجزاهم جنة وحريرا • قال تعالى :

« يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا » •

الاية نزلت في نذر نذره امير المؤمنين علي (ع) بتوجيه من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حيث اشار عليه ان يصوم لله تعالى ثلاثة ايام لشفاء ولديه الحسن والحسين (ع) من مرض ألم بهما • ويستفاد من الاية امور ثلاثة :

(١) ان النذر لا يكون الا لله •

(٢) الشفاء بيد الله ، وانه ليس بامكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام علي (ع) ان يشفيا احدا •

(٣) ان يتوجه الانسان الى ربه في طلب حاجاته •

« هـذا بيـان للناس وهـدى
وموعظة للمتقين »

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

١٣٩٣ لسنة ١٩٧٦

« .. لاشك ان من يعتقد بنسبة الحوادث الى غير الله تعالى بالاستقلال ، من خلق أو رزق أو مرض أو شفاء أو موت أو حياة أو غير ذلك ، فهو مشرك ، والامر لله وحده وهو المؤثر في الكون لا شريك له ، والقرآن قد هدانا الى ذلك في أكثر آياته البينات ... » .

« الخالصي »

« .. وعلى الجملة : الايمان بالله يقتضي ان لايعبد الانسان أحدا سواه ، ولا يسأل حاجته الا منه ، ولا يتكل الا عليه ، ولا يستعين الا به ، والا فقد أشرك بالله ، وحكم في سلطانه غيره .. » .

« الخوئي »

« الانسان لا يقوم وحده »

« الدكتور أ. كريسي موريسون »

السعر ١٠٠ فلس